وجماهيري، وقد توفرت الظروف لمثل هذا النهوض، فقويت الجبهة بهذه الجماهير، كما ان الجماهير قويت بالجبهة.

وعلى ما اذكر، ان موشي دايان قدم مشروعاً اسمه «مشروع قانون تركيز الاراضي». وقد اصطدم هذا المشروع بهبّة جماهيرية عارمة، فاضطر دايان الى الغاء مشروعه، واسقاطه من مشاريع الكنيست.

من ناحية اخرى، خرجنا بنتيجة اخرى من خلال تجربتنا في الجبهة، وهي ان الحزب الشيوعي (ماكي) يحاول دائماً ان يستثمر علاقاته ومشاركته في اية جبهة لصالح الحزب؛ علاوة على ان الحزب الشيوعي يفضل ان يتعامل مع افراد وليس مع قوى منظمة. كما ان التجربة مع الحزب، في حينه، اوصلتنا الى نتيجة مفادها انه يتخذ غالبية قراراته، وليس كلها، بناء على مواقف الاتحاد السوفياتي، وليس حسب ما تقتضيه المصلحة الوطنية الداخلية. من هنا، استنتجنا ان هناك صعوبة كبيرة في العمل مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي على مسائل بعيدة المدى؛ فالحزب يستثمر كل عمل لصالحه ولصالح ابراز عناصره وقياداته على حساب ابراز العناصر والقيادات الوطنية الاخرى، وهذا الامر عكس نفسه، بصورة سلبية، على الجبهة الشعبية. اضافة الى ذلك، فان الخلاف الذي وقع بين عبدالناصر، من جهة، والاتحاد السوفياتي، من جهة اخرى، وبين عبدالناصر وعبدالكريم قاسم، عكس نفسه على التحالف داخل الجبهة؛ فمن غير الممكن الّا نتأثر بهذا الخلاف؛ فنحن جزء لا يتجزء من العالم العربي، نتفاعل فيه ومعه.

ان العاملين، الداخلي والخارجي، ساهما، بدورهما، في فرط عقد التحالف داخل الجبهة الشعبية. فقد شعرت القوى الوطنية الفلسطينية، في تلك الفترة، بضرورة تعزيز شخصيتها القومية والوطنية تجاه هجمة السلطة، من جهة، وهجمة الشيوعيين، من جهة اخرى، سواء في الداخل او الخارج. وهكذا وجد الحزب الشيوعي نفسه في مواجهة مع القوى الوطنية. وبشكل منطقي وطبيعي كان الناس ينحازون الى جانب القوى الوطنية، لأنها، بالمقارنة مع الحزب، على الرغم من كل ما قدمه في دفاعه عن الحقوق المدنية للمواطن العربي، كانت اكثر تمثيلاً للمواطن، واقدر من الحزب الشيوعي على ابراز مشاعره، وتمثيلها، والتعبير عنها.

على الرغم من هذا، حاولنا تجاوز الخلافات الخارجية، واكمال مسيرتنا مع الحزب. ففي احد الاجتماعات للجنة التنفيذية ـ آخر اجتماعات اللجنة والذي تسبب بالانقسام ـ وقف منصور كردوش، متحدثاً باسم القوى الوطنية، وناشد المجتمعين الاّ يتأثروا بالخلافات في الخارج بين عبدالناصر والشيوعيين. وقال لهم: «اننا واياكم، هنا، لنا وضع خاص جداً، وعلينا ان نحاول، قدر الامكان، ان نتجاوز الخلافات ولا ندعها تؤثر في ما يمكن ان نقدمه هنا الى جماهيرنا، وما نستطيع ان نواجه به السلطة من دفاع عن مصالح هذه الجماهير». واضاف: «اننا واياكم لسنا سوى مجموعة صغيرة، ولن نؤثر في ترجيح كفة الصراع في الخارج لأي من الطرفين، الشيوعي أو القومي، وليس من مصلحتنا ان نكون طرفاً فيه، نهاجم هذا الطرف على حساب الطرف الآخر». فوقف اميل حبيبي وقال، رداً عليه: «اننا شيوعيون وحزبيون. ولا نستطيع ان نقف على الحياد تجاه قضية كهذه. نحن جزء من الحركة الشيوعية في العالم، ولا نستطيع إلّا ان نتفاعل مع اية معركة يخوضها اي حزب شيوعي، وفي أي منطقة في العالم».

فقال له منصور كردوش: «ونحن ايضاً جزء لا يتجزأ من الحركة القومية العربية، ولا نستطيع ان نتجاهل اية معركة يخوضها شعبنا العربي في الخارج. ولكننا نقترح عليكم، وعلينا، موقف الحياد تجاه ما يدور في الخارج، لادراكنا لخصوصية وضعنا، وصغر حجمنا وحجمكم».

فرد عليه اميل: «لا نستطيع التجاوب معك».

فأجابه منصور: «اذن، لم تعد بيننا امكانية للتعاون. واذا كنتم اعلنتم الحرب، فنحن بالمرصاد، مع ادراكنا لسلبية هذا الموضوع على جماهيرنا».

وانفض الاجتماع ـ الذي كان عقد في حيفا ـ على ذلك. وفي طريق عودتنا، التقينا اميل حبيبي، فبادر بالقول: «ان زعيمكم قد مات وانتهى، ولستر هذا الميت ما عليكم الا دفنه» *.

* المقصود هنا جمال عبدالناصر. الا ان صالح برانسي لم يوضح المناسبة التي قال فيها حبيبي هذا القول، علماً بأن عبدالناصر كان حياً في ذلك الوقت (و. ج).